£

إياكم وانتهاك الحرمات

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فإن من أعظم الواجبات ترك المحرمات وذلك لقول النّبيّ ﷺ: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**» [رواه البخاري ومسلم].

وقد وضعت الشريعة أسيجة كثيرة لمنع وقوع الحرام، فتحريم الزنى يحتف به ولا ينفك عنه تحريم النظر والخلوة بالأجنبية والسفر بدون محرم والتبرج والخضوع بالقول واختلاط الرجال بالنساء ومصافحة الأجنبيات...

وكل ما أدى إلى الحرام فهو حرام، واعتبرت الشريعة أن الورع من الدين؛ ففي حديث النعمان بن بشير قال النّبيّ ﷺ: «**الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات فمن اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه**» [رواه البخاري

ومسلم]؛ ولذلك ترك الأفاضل بعض الحلال مخافة الوقوع في الحرام، ولم تزل التقوى بالمتيقن حتى تركوا ما لا بأس به حذراً مما به بأس، وحتى حاسبوا أنفسهم على مثاقيل الذر، قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**(٣٢)﴾ [الحج: ٣٢]، فتعظيم الشعائر يوصل إلى تقوى الله، وهو علامة على تمكن معاني التقوى من النفوس، وقال تعالى: ﴿**ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ**﴾ [الحج: ٣٠]، فهذا هو سبيل تحصيل الخيرات والبركات في العاجل والآجل.

وانتهاك الحرمات دليل الشقاوة والتعاسة والطريق الموصل إلى نيران الجحيم، قال ابن القيم – رحمه الله –: لم يُقدر الله حق قدره من هان عليه أمره فعصاه، ونهيه فارتكبه، وحقه فضيعه، وذكره فأهمله، وغفل قلبه عنه، وكان هواه آثر عنده من طلب رضاه، وطاعة المخلوق أهم من طاعته، فلله الفضلة من قلبه وقوله وعمله – هواه المقدم في ذلك كله، المهم أنه يستخف بنظر الله إليه، واطلاعه عليه – وهو في قبضته وناصيته بيده، ويُعظم نظر المخلوق إليه واطلاعه عليه بكل قلبه وجوارحه، يستحي من الناس ولا يستحي من الله، ويخشى الناس ولا يخشى الله، ويُعامل الخلق

بأفضل ما يقدر عليه، وإن عامل الله عامله بأهون ما عنده وأحقره، وإن قام في خدمة من يحبه من البشر قام بالجد والاجتهاد وَبَذْلِ النصيحة وقد أفرغ له قلبَه وجوارحه وقدّمه على كثير من مصالحه حتى إذا قام في حق ربه قام قيامًا لا يرضاه مخلوق من مخلوق مثله، وبذل له من ماله ما يستحي أن يواجه به مخلوقًا مثله، فهل قدر الله حق قدره من هذا وصفه؟ وهل قدره حق قدره من شارك بينه وبين عدوه في محض حقه من الإجلال والتعظيم والطاعة والذل والخضوع والخوف والرجاء؟ . اهـ.

إن انتهاك الحرمات وتعدي الحدود وارتكاب المعاصي في الزمن الشريف كرمضان أو الأشهر الحرم وأيام الأعياد ليس كارتكابها في غيره وفعلها في المكان الشريف كالحرم والمسجد ليس كفعلها في غيرها، وإتيانها في حق من عظمت حرمته وعلا قدره وشرفه كالأنبياء والمرسلين والصحابة ليس كإتيانها في حق غيرهم.

وقد وردت الأحاديث في ذمِّ انتهاك الحرمات:

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**اتّقوا الظُلمَ؛ فإن الظلم ظُلُمات يوم القيامة، واتّقوا الشُّحَّ فإن**

الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» [رواه مسلم].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ستةٌ لَعَنْتُهُمْ، لَعَنَهُمُ اللهُ وكُلُّ نبيّ كان: الزَّائد في كتاب الله، والمكذب بقَدَرِ الله، والمُتسلِّط بالجبروت ليُعِزَّ بذلك من أذلَّ الله، ويُذِلَّ من أعزّ الله، والمُستحل لحُرَمِ الله، والمستحلُّ من عترتي ما حرّم الله، والتاركُ لسُنَّتي**» [رواه الترمذي وقال: صحيح الإسناد].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كيف أنتم إذا لم تجتبوا دينارًا ولا درهمًا؟ فقيل له: وكيف ترى ذلك كائنًا يا أبا هريرة؟ قال: إي، والَّذي نفسُ أبي هريرة بيده، عن قول الصادق المصدوق. قالوا: عمَّ ذلكَ؟ قال: «**تُنتهك ذمة الله وذمة رسوله ﷺ، فيشُدُّ اللهُ عز وجل قلوب أهل الذمة فيمنعون ما في أيديهم**» [رواه البخاري].

وعن ثوبان رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضًا، فيجعلها الله عز وجل هباءً منثورًا**» قال ثوبان: يا رسول الله، صِفهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم.

قال: «**أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**» [رواه ابن ماجه وصححه الألباني].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما خُيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يأثم، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه، والله ما انتقم لنفسه في شيء يُؤتى إليه قطُّ حتى تُنتهك حرمات الله فينتقم لله» [رواه البخاري ومسلم].

وعن جابر بن عبد الله وأبي طلحة رضي الله عنهم قالا: قال رسول الله ﷺ: «**ما من امرئ يخذُلُ امرأً مسلمًا في موضع تُنتهك فيه حرمته ويُنتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يُحبُّ فيه نُصرته، وما من امرئٍ ينصر مسلمًا في موضع يُنتقص فيه من عرضه ويُنتهك من حرمته إلاّ نصره الله في موطن يُحبُّ نُصرته**» [رواه أبو داود وأحمد].

الأحاديث الواردة في ذم انتهاك الحرمات معنىً:

عن ابن عبّاس رضي الله عنهما أن النّبيّ ﷺ قال: «**أبغضُ الناس إلى الله ثلاثة: مُلحدٌ في الحَرَم، ومُبتغٍ في الإسلام سُنّة الجاهلية، ومُطّلِبُ دم امرئٍ بغير حق ليُهريق دمه**» [رواه البخاري].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا؛ فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طُرح في النار**» [رواه مسلم].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أعمى كان على عهد رسول الله ﷺ وكانت له أمُّ ولد، وكان له منها ابنان وكانت تُكثر الوقيعة برسول الله ﷺ وتسبُّهُ فيزجرها فلا تنزجر، وينهاها فلا تنتهي. قال: فلمّا كان ذات ليلة ذكرتُ النبيّ ﷺ فوقعتْ فيه، فلم أصبر أن قمت إلى المِغْوَل (شبه سيف قصير) فوضعته في بطنها، فاتّكأتُ عليه فقتلتها، فأصبحَتْ قتيلاً فذُكر ذلك للنّبيّ ﷺ، فجمع الناس وقال: «**أنْشُدُ الله رجلاً لي عليه حقٌ فعل ما فعل إلاّ قام**» فأقبل الأعمى يتدلدل (يمشي مشية فيها اضطراب) فقال: يا رسول الله: أنا صاحبها، كانت أم ولدي، وكانت بي لطيفة رفيقة، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، ولكنها كانت تُكثر الوقيعة فيك، وتشتُمُك فأنهاها فلا تنتهي، وأزجُرها فلا

تنزجر، فلمّا كانت البارحة ذكرتُك فوقعت فيك فقُمتُ إلى المِغْوَلِ فوضعْتُهُ في بطنها، فاتّكأتُ عليها حتّى قتلتُها، فقال رسول الله ﷺ : «**ألا اشهدوا أن دمها هدرٌ**» [رواه أبو داود والنسائي، وقال الألباني: صحيح].

وعن عبد الله بن مسعود ؓ أنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الله لم يُحرم حُرمة إلا وقد علم أنه سيطّلعُها منكم مُطّلِعٌ، ألا وإني آخذٌ بحجزكم أن تهافتوا في النار كتهافت الفراش أو الذباب**» [رواه أحمد].

وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ : «**أيها الناس، إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:** ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]. **ثم ذكر الرجل يُطيل السفر أشعث أغبر يمدُ يديه إلى السماء، يا ربِّ يا ربِّ، ومطعَمُهُ حرامٌ ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنَّى يُستجابُ لذلك**» [رواه مسلم].

وعن النواس بن سمعان ؓ قال: قال رسول الله ﷺ : «**ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبتي الصراط**

سوران فيهما أبوابٌ مفتّحة وعلى الأبواب ستورٌ مرخاةٌ وعلى باب الصراط داعٍ يقول: أيها الناسُ، ادخُلُوا الصراط جميعًا ولا تتفرجوا، وداعٍ يدعو من جوف الصراط فإذا أراد أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب، قال: ويحك! لا تفتحه، فإنّه إن تفتحه تلجه.. الحديث» [رواه أحمد والترمذي والنسائي والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي].

وعن أبي هريرة ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل أمتي معافىً إلاّ المجاهرين، وإنّ من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يُصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان عملْتُ البارحة كذا وكذا، وقد باتَ يستُرُهُ ربُّه ويُصبحُ يكشف ستر الله عنه**» [رواه البخاري ومسلم].

وعن عبد الله بن مسعود ؓ أنه قال: قال النّبيّ ﷺ : «**ليس من نفسٍ تُقْتلُ ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ منها** – وربّما قال سفيان: **من دمها – لأنه سنّ القتل أوّلاً**» [رواه البخاري].

وعن أبي مالك الأشعريّ ؓ إنه سمع النّبيّ ﷺ يقول: «**ليكونن من أمتي أقوامٌ يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب علمٍ، يروح**

عليهم بسارحة لهم يأتيهم - يعني الفقير - لحاجة فيقولون: ارجع علينا غدًا فيُبيِّتُهُم الله ويضعُ العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة» [رواه البخاري].

وعن عليّ رضي الله عنه قال: «ما كتبنا عن النّبيّ ﷺ إلا القرآن، وما في هذه الصحيفة. قال النّبيّ ﷺ: «**المدينة حرامٌ ما بين عائرٍ إلى كذا، فمن أحدث حدثًا أو آوى مُحدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه عدل ولا صرفٌ، وذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه صرف ولا عَدْلٌ، من والى قومًا بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه صرف ولا عدلٌ**» [رواه البخاري].

وعن هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: إنه مرّ بالشام على أناس، وقد أُقيموا في الشمس وصُبّ على رُؤوسهم الزيتُ، فقال: ما هذا؟ قيل: يُعذبون في الخراج، فقال: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يُعذب الذين يُعذِّبون في الدنيا**» [رواه مسلم].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النّبيّ ﷺ

قال: «**من قتل نفسًا مُعاهدًا لم يُرَحْ رائحة الجنّة، وإنّ ريحها ليُوجَدُ من مسيرة أربعين عامًا**» [رواه البخاري].

وعن عبيد الله بن القبطية قال: دخل الحرثُ بن أبي ربيعة وعبد الله بن صفوان وأنا معهما على أم سلمة أم المؤمنين، فسألاها عن الجيش الذي يُخسف به، وكان ذلك في أيام ابن الزُّبير فقالت: قال رسول الله ﷺ: «**يعوذ عائذٌ بالبيت فيُبعث إليه بعثٌ فإذا كانوا ببيداء من الأرض خُسف بهم**» فقلت: يا رسول الله، فكيف بمن كان كارهًا؟ قال: «**يُخسف به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيّته**» [رواه مسلم].

وقال أبو بكر رضي الله عنه لسلمان الفارسيّ – وقد طلب منه الوصية –: «يا سلمان، اتقِ الله، واعلم أنه سيكون فتوحٌ فلأعرفَنَّ ما كان حظّك منها، ما جعلتَهُ في بطنك أو ألقَيْتَهُ على ظهرك، واعلم أنه من صلى الخمس فإنه يُصبح في ذمة الله، فتخفر الله في ذمته، فيكبك الله في النار على وجهك».

قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: «يا أهل مكّة، اتّقوا الله في حَرَمكم هذا، أتدرون من كان ساكن حرمكُم هذا من قبلكم؟ كان فيه بنو فلان فأحلّوا حُرْمته فهلكوا، وبنو فلان فأحلُّوا حرمته فهلكوا، حتى عدّ ما شاء الله، ثم قال: والله لأن أعمل

عشر خطايا بغيره أحبُّ إليَّ من أن أعمل واحدةً بمكّةَ».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «أقبل تُبَّعٌ يُريد الكعبة حتى إذا كان بكُراع الغميم بعث اللهُ عليه ريحًا لا يكاد القائم يقوم إلا بمشقّة، وذهب القائم يقعُدُ، ويُصْرَعُ، وقامت عليهم، ولَقُوا منها عَنَاءً، ودَعَا تُبَّعٌ حَبْرَيه، فسألهما: ما هذا الذي بُعث عليَّ؟ قالا: أوَ تُؤمِّنُنا؟ قال: أنتم آمنون. قالا: فإنّك تُريد بيتًا يمنعُهُ الله من أراده. قال: فما يُذهبُ هذا عنّي؟ قالا: تَجَرَّد في ثوبين، ثم تقول: لبّيك لبّيك. ثم تدخل فتطوف بذلك البيت، ولا تهيج أحدًا من أهله. قال: فإن أجمعت على هذا ذهبت هذه الريح عني؟ قالا: نعم. فتجرد، ثم لبّى، فأدبرت الريح كقطع الليل المظلم».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ**﴾: لو أنّ رجلاً أراد بإلحاد فيه بظلم وهو بعدن أبين، لأذاقه الله من العذاب الأليم».

وعن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: «ما من عبد ترك شيئًا لله إلاّ أبدلَه الله به ما هو خيرٌ منه، من حيث لا يحتسب، ولا تهاون به عبدٌ فأخذ من حيث لا يصلح إلا أتاه الله بما هو أشدُّ عليه».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان منّا رجلٌ من بني

النجار قد قرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب لرسول الله ﷺ فانطلق هاربًا حتى لحق بأهل الكتاب، قال: فرفعوه، قالوا: هذا قد كان يكتب لمحمد، فأُعجبوا به، فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم، فحفروا له فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها فتركوه منبوذًا».

وقال جُبير بن نُفير رضي الله عنه: «لما فُتحت قُبرص فُرِّق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض، فرأيت أبا الدرداء جالسًا وحده يبكي، فقلتُ: يا أبا الدرداء ما يُبكيك في يوم أعزّ الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال: ويحك يا جُبيرُ، ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا أضاعوا أمره بينما هي أمة قاهرة ظاهرةٌ لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى».

وقال الأوزاعي – رحمه الله تعالى –: «أُنبئتُ أنه كان يُقال: ويلٌ للمتفقّهين بغير العبادة، والمستحلين للحرمات بالشبهات».

وقال سليمان التّيميُّ – رحمه الله تعالى –: «إنّ الرجل ليُصيب الذنب في السَّحر فيُصبح وعليه مذلَّته».

وقال يحيى بن معاذ الرازيُّ – رحمه الله تعالى –:

«عجبت من ذي عقل يقول في دُعائه: اللهم لا تُشمتْ بي الأعداء، ثم هو يُشْمتُ بنفسه كل عدو له». قيل: وكيف ذلك؟ قال: «يعصي اللهَ ويُشْمِتُ به في القيامة كل عدو».

وقال القاضي أبو يعلى – رحمه الله تعالى – : «إن بغَى البغاة على أهل العدل قاتلهم على بغيهم إذا لم يُمكِن رَدُّهم عن البغيِ من حقوق الله التي لا يجوز أن تُضاع، فكونها محفوظةً في حرمة الله أولى من أن تكون مُضاعة فيه».

وقال ابن الجوزي – رحمه الله تعالى– : «بقدر إجلال العبد لله يُجله الله – عز وجل – وبقدر تعظيمه قدره واحترامه يعظُمُ قدرُ العبد وحرمته، وكم من رجل أنفق عمره في العلم حتى كبرت سِنُّه، ثم تعدَّى الحدود فهان عند الخلق، ولم يلتفتوا إليه مع غزارة علمه وقوة مجاهدته، وأما من راقب الله – عز وجل – في صبوته، فقد يكون قاصر الباع بالنسبة للصنف الأول، ومع ذلك عظَّم الله قدره في القلوب حتى علقَتْهُ النفوس، ووصفته بما يزيد على ما فيه من الخير». وقالَ ذو النون المصري – رحمه الله تعالى–: «من خان الله في السر هتك الله ستره في العلانية».

وقال بعض السلف: «ما انتهك المرء من أخيه حرمة أعظم من أن يُساعده على معصية ثم يُهونها عليه».

ومن هذا العرض يتضح أن انتهاك الحرمات دليل على ضعف الإيمان وذهاب الحياء وفيه التعرض لغضب الله وأليم عذابه، وإشاعة الفاحشة بين المسلمين، وإضاعة أمن البلاد والعباد. فعظّم الشعائر والحرمات وخف من الله على قدر قربه منك وقدرته عليك، فلست تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره ولا من ملكه إلى ملك غيره.

خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى
واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
ولا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

وإذا خلوتَ الدهر يومًا فلا تقل
خلوتُ ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما يخفى عليه يغيب

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه
سعيد عبد العظيم
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين